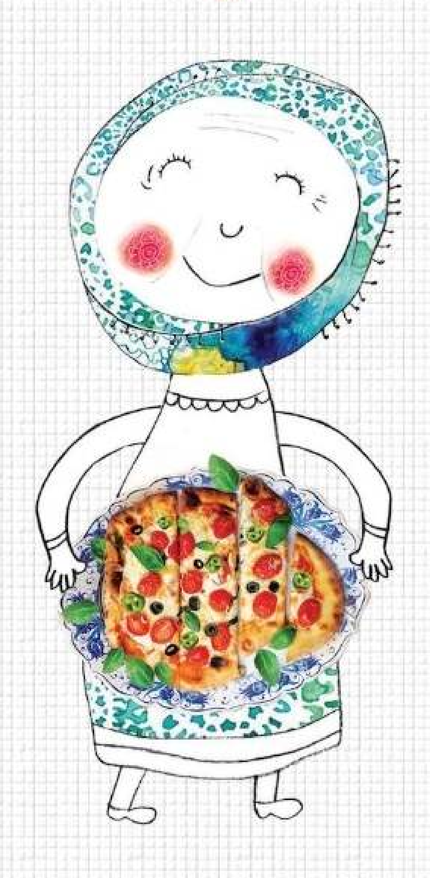


"بيتزا" جدّتي... ما السّر؟

نص: نبيلة هاشم
رسومٌ: ريما الكوسا

"بيتزا" جدّتي... ما السّر؟



نص: نبيلة هاشم رسوم: ريما الكوسا







لَمْ تَكُنْ جَدّتي تَتَوَقَّعُ أنْ نَهْبُطَ عَلَيْها فَجْأَةً أنا وإِخوتي ، فَرْحَتُها كانَتْ لا توصَف ، وضِحْكَتُها صارَتْ كما يقولون إلى ما وراءَ أُذُنَيْها.

راحَتْ تَحْضُنُنا وتُقَبِّلُنا الواحِدَ تِلْوَ الآخَرِ، وهِيَ تُرَدِّدُ: أَهْلاً، أَهْلاً بالأحفاد..عبير ويارا ومَلَك وآخر العنقود نديم..كَيْفَ خَطَرْتُ على بالِكم ؟ فَقُلْنا مَعاً: أَنْتِ في البالِ دائِماً يا جَدَّتي، وقد رَجَوْنا والدَيْنا أن يُرْسِلانا إليكِ مُفاجأة لنقضيَ النَّهارَ عِندكِ، وها نحنُ هنا ،ولن نُضَيِّعَ وَقْتاً..



جَلَسْنا نُدَرْدِشُ مع جدتي، ثم صَعدْنا السّطْحَ معاً، تأمّلْنا المشهدَ من فوق، كان مَنْظرُ البساتينِ والكروم المُمْتدّةِ وصولاً إلى الحَديقَةِ الّتي تَعْتَني بِها جَدَّتي بِنَفْسِها ، رائعاً ويُشبهُ لوحةً فنيّةً.

وفي ما بعد، تَذَكَّرْنا أَنَّهُ كانَ من الأفضلِ إحْضارُ طَعامٍ جاهِزٍ مَعَنا، «بيتزا أو سندويشات»...وبَدا مَوْضوعُ الطَّعامِ مُقْلِقاً، خاصَّةً لأختي الوسطى يارا التي كانت تخشى أَنْ تَفْرضَ عَلَيْنا الجَدَّةُ أَكْلاتٍ قَديمَة، لَمْ نَعْتَدْها مِنْ قَبْل. لِهَذا اقْتَرَبَتْ مِنْ جدَتي وسَأَلَتْها: جَدَّتي.. أَلا يوجَدُ في البَلْدَةِ مَطْعَمٌ؟

ـ مَطْعَم؟! اِسْتَغْرَبَتْ جَدَّتي.

ـ مَطْعَمٌ يَبيعُ فَلافِل، بيتزا، أَوْ سندويشات، أَيَّ شَيْءٍ جاهِزٍ..قالت مَلَك.

لمستُ انْزعاجَ جدتي، فاسْتَدْرَكْتُ قائلةً : لا تَفْهَمينا خَطَأً يا جَدَّتي، نَحْنُ لا نُريدُ إتْعابَكِ بِتَحْضيرِ الطَّعامِ، ثُمَّ نحن نُحِبُّ هَذِهِ الأَكْلاتِ.







ـ شُكْراً لَكُمْ يا أَحِبّائي عَلى اقْتِراحِكُمْ، ولَكِنْ، ما رَأْيُكُمْ في أَنَّ سَعادَتي هي أَنْ نَتَشارَكَ بِتَحْضيرِ وَجْبَةٍ سَتُحِبّونَها مِنْ يَدي وأَيْديكُمْ؟

ـ ما هِيَ هَذِهِ الأَكْلَةُ؟ سَأَلَ نَديم.

ـ لا تَسْأَلوا.. فَقَطْ نَفِّذوا ما أَطْلُبُهُ مِنْكُمْ.

هيا اغْسِلوا أيديكم أولاً، رَيْثَما أُدبِّرُ لكم مَراويلَ وعَصْباتٍ.



وبَعْدَ بَحْثٍ عادَتْ جدتي وهِيَ تَحْمِلُ مِمّا تَوَفَّرَ لَدَيْها،
وقالَتْ: هَيّا ضَعوا هَذِهِ المَراويلَ حَتّى لا تَتَّسِخَ ثِيابُكُمْ،
وهَذِهِ العَصْباتِ عَلى رُؤوسِكُمْ..
تَوَجَّهْنا إِلى المِرْآةِ لِنُشاهِدَ كَيْفَ نَبْدو بِأَزْيائِنا الجَديدَةِ..
ويا لِلْمُفاجَأَة!



كانَتْ مَناظِرُنا مُضْحِكَةً..

صاحَتْ يارا: مَهْلاً..انْتَظِروا قَليلاً.. وذَهَبَتْ لإِحْضارِ آلَةِ التَّصْويرِ، وتَبادَلْنا التِقاطَ الصُّوَرِ.

بعدها نادَتْ جَدَّتي: أَسْرِعوا لَقَدْ بَدَأَ وَقْتُ العَمَلِ.



فِي المطبخِ، صارتْ جدتي تَطْلُبُ مِنْ كُلِّ واحِدٍ مِنّا القيامَ بِعمَلٍ مُحَدَّدٍ: عَبير انْخُلي الطَّحينَ.. يارا ضَعي الحَليبَ.. ملك أَضيفي الخَميرَةَ والمِلْحَ.. نديم اسْكُب الماءَ عَلى مَهْلٍ. وهَكَذا كانَتْ جَدَّتي تُعْطينا التَّعْليمات ،ونحن نتحَمَّسُ ونَخْلِطُ العجينَ ونَضرِبُهُ حتى يتماسَكَ، فَكانَتْ لُعْبَةً مُسَلِّيَةً.. والأَهَمُّ أَنَّ نَديم كانَ يَأْخُذُ الصُّوَرَ تِلْوَ الصُّوَرِ، وهُوَ يَتَحَسَّرُ شَوْقاً لِيَنالَ حَظَّهُ، ولَوْ بِكُرَةٍ صَغيرَةٍ مِنَ العَجينِ.







بينَ اللّعبِ والتّعليماتِ لَمْ نَشْعُرْ إلاّ والعَجينَةُ أَصْبَحتْ كُرَةً بَيْنَ أَيْدينا، وراحَتْ مُخَيِّلَةُ نَديم تَشْتَغِل: ماذا لَوْ أَنَّها كُرَةٌ، تُرى كَيْفَ كانَتْ سَتَطيرُ؟ وماذا سَيَحِلُّ بِمَنْ سَيَرْكُلُها؟ فَقالَتْ جَدَّتي: لَقَدْ تَعِبَتْ هَذِهِ المِسْكينَةُ مِنْ كَثْرَةِ ما أَشْبَعْتُموها لَكْماً وضَرْباً وتصويراً، أَريحوا مُخَيِّلَتَكُمْ، واتْرُكوها لِتَرْتاح. غَطَّتِ العَجينةَ، وخَبّأَتْها لِلطَّعامِ الَّذي تُعِدُّهُ لَنا مُفاجأَةً. فقُلْنا هَيّا إِلى التّالي، ماذا بَعْدُ يا جَدَّتي؟

فقالت هَيّا انْزِلوا مَعي إِلى الحَديقَةِ.



فِي الحَديقَةِ أَيْضاً وَزَّعَتْ جَدَّتي التَّعْليماتِ.. واحِدَةٌ تَقْطِفُ البَنَدورَةَ، وأُخْرى تَقْطِفُ الفُلَيْفِلَةَ، وواحِدَةٌ تَقْطِفُ البَصَلَ الأَخْضَرَ.. ونَديم يَلْتَقِطُ لَنا الصُّوَرَ.

وأَجْمَلُ لَحْظَةٍ ما زالَتْ في بالي، عِنْدَما لَمَسْتُ شَتْلَةً فاحَتْ منها رائِحَةٌ زَكِيَّةٌ ولا أَجْملَ..



- آه.. ما أَطْيَبَ هَذِهِ الرّائِحَةَ! وهَتَفْتُ لِنَديم: هَيّا صَوِّرْها.

- أُصَوِّرُ الرّائِحَةَ؟!

ضَحِكْنا جَميعاً مِنْ سُؤالِ نَديم، وضَحِكَ نَديم فَاسْتَدْرَكَ الأَمْرَ، والْتَقَطَ لَنا صورَةً قُرْبَ شَتْلَةِ الحَبَقِ ذاتِ الرّائِحَةِ الفَوّاحَةِ..





عُدْنا إِلى البَيْتِ مَزْهوّينَ بِإِنْجازِنا، وجَدَّتي تَقولُ مُتَباهِيَةً:
أَنا لا أَشْتَري الخُضَرَ مِنَ السّوقِ، فَأَنا أَزْرَعُها في الحَديقَةِ، وأَقْطِفُها طازَجَةً.
وفي المَطْبَخِ، بَدَأَتْ جَدَّتي بِتَقْشيرِ البَصَلِ وتَقْطيعِهِ، فَبَدَأَتِ الدُّموعُ تَسيلُ مِنْ عُيونِنا. ولَمْ يُفَوِّتِ المُصَوِّرُ فُرْصَةً، فَصَوَّرَنا ونحن بِتِلْكَ الحالَةِ.
اِلتَفَتَتْ جَدَّتي وقالَتْ: «الله يخليلي عيونكم». الآنَ انْتَهى دَوْرُكُمْ، هيّا يا أَحِبّائي تَنَزَّهوا في الجِوارِ، والْتَقِطوا الصُّوَرَ، وزوروا الجيرانَ رَيْثَما أَنْتَهي..
ـ ولَكِنْ جَدَّتي.. ماذا أَنْتِ فاعِلَةٌ؟ دَعينا نُساعِدْكِ..
ـ قُلْتُ لَكُمْ لا تَسْأَلوا..هيا لا تُضيِّعوا وقتاً.



خَرَجْنا لِلنُّزْهَةِ، كانَتْ جَميلَةً وهادِئَةً، تَسلَّيْنا مع رفاقِنا من أولادِ الجيرانِ، ولَمْ نَشْعُرْ بِالوَقْتِ الَّذي مَرَّ سَريعاً. وعِنْدَما عُدْنا إلى البَيْتِ كانَتْ رائِحَةٌ شَهِيَّةٌ تَنْبَعِثُ مِنْهُ، ونَعْرِفُها جَيِّداً.. آاا... كَيْفَ لَمْ نَحْزُرْ؟ العَجينُ والخُضرُ.. مَنْظَرُها ورائِحَتُها تَفْتَحُ الشَّهِيَّةَ!



صاحَتْ يارا: تَوَقَّفوا..لا تَلْمِسوها، سَنُصَوِّرُها حَتّى تَكْتَمِلَ قِصَّتُنا.

بعدها جَلَسْنا جَميعُنا إلى المائِدَةِ، وتَناوَلْنا مَع جَدَّتي أَطْيَبَ «بيتزا» تَذَوَّقْناها، بِاعْتِرافِ الجَميعِ ومن دونِ مُجامَلَةٍ.





وبعدَ عوْدَتِنا إلى البيتِ ، ظَلَلْنا نَبْحثُ عَنِ السِّرِّ في بيتزا جدتي.

يارا قالَتْ: رُبَّما لأَنَّها بَلَدِيَّةٌ.

مَلَك قالَتْ: رُبَّما لأَنَّها مِنْ صُنْعِ أَيْدينا.

وأَنا قُلْتُ: رُبَّما لأَنَّنا كُنّا جوعانين.

ونَديم قالَ : أَوْ لأَنَّنا كُنّا نُصَوِّر...

واسْتَمَرَّ النِّقاشُ ذَلِكَ اليَوْمَ، وامْتَدَّ لاحِقاً إِلى الأقاربِ والأصدقاءِ، حَيْثُ أَرْسَلْنا لهم صُوَرَ الزِّيارَةِ بالبريدِ الالكتروني ، وعَنْوَنّاها «بيتزا جَدَّتي.. ما السِّرّ ؟» وراحَتْ الإجابات تَتوالى..



وأَنتمْ ماذا تقولون؟ ما السِّرُّ في «بيتزا» جدتي يا تُرى؟

ISBN: 978-614-439-046-7

ص.ب. 25/216 بيروت، لبنان هـ : 821679 1 961+ 840389 1 961+
ف: 840390 1 961+ البريد الالكتروني : alhadaek@alhadaekgroup.com